



١

روائع شارع المعز



بقلم
بسام الشَّعاع



رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٣٤٣٢
الترقيم الدولي	ISBN 978-977-02-7720-1

٧ / ٢٠٠٩ / ٥٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

تصميم الغلاف:

محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

شارع المعز «المتحف المفتوح»:

يُعتبر شارع المعز بالقاهرة الإسلامية من أغنى الشوارع بالمباني والآثار الإسلامية في العالم. تتباين تلك الروائع الفنية والمعمارية من مساجد وأضرحة إلى مدارس وبيوت وقصور ومستشفيات وغيرها، ولذا يكون لزماً علينا أن نتعرف على هذه المباني وتاريخها وأسماء أصحابها التي يعرفها العالم أجمع. وقد خضع العديد من هذه الروائع - ما يربو على الثلاثين أثراً - لعمليات الترميم والتجديد إبان الفترة الماضية حتى أن الشارع الآن يبدو وكأنه تاج محلى باللآلي، وتضاء هذه الدرر ليلاً ليضفي عليها ملمساً مخملياً رائعاً. دعوني أصحابكم لرحلة سريعة عبر فصول التاريخ والآثار الإسلامية من خلال شارع المعز، ذلك الرجل الذي اقترنت باسمه أجمل المدائن «قاهرة المعز».

من هو «المعز»؟

هو المعز أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل المغربي الفاطمي، الخليفة الرابع من سلالة بنى عبید الله التي كانت تقطن «المغرب» وهو الحاكم الأول في قائمة أحد عشر حاكماً فاطمياً حكموا مصر في عصر الدولة الفاطمية والتي استمر حكمها من عام ٩٦٩ ميلادية إلى ١١٧١ ميلادية. وقد كانت الدولة الإخشيدية هي التي تحكم مصر قبلها والدولة الأيوبية بعدها. لم يلتزم «المعز لدين الله الفاطمي» بالولاء للدولة العباسية ولقب نفسه بالخليفة، وبعث قائد جيوشه «جوهر الصقلي» ليؤسس له مدينة هي (القاهرة) معتمداً على الطلب الذي بعثه أعيان مصر له مؤكدين حاجتهم إلى توليه مقاليد الأمور بعد حالة الفوضى التي دبّت في القطر بعد وفاة الأمير «كافور الإخشيدي».

وَصُولُ الْمَعْرِزِ إِلَى مِصْرَ:

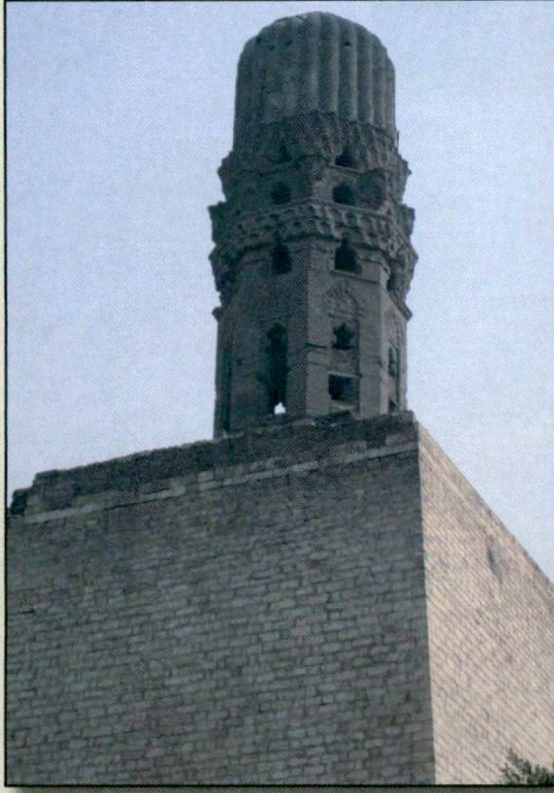
دَخَلَ الْمَعْرِزُ مِصْرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَمَعَهُ - كَمَا يُؤَكِّدُ لَنَا الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بْنِ كَثِيرٍ - أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ جَمَلٍ مَحْمَلَةٍ بِالذَّهَبِ وَالْقَمَاشِ وَقُبَّةٌ مِنَ الْبُلُورِ وَتُحَفٌ وَعَجَائِبٌ كَثِيرَةٌ. وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْمَغْرِبِ رُفَاتَ أَجْدَادِهِ لِيُدْفَنَهُم بِالْقَرَافَةِ الْكُبْرَى بِمِصْرَ مِمَّا يُؤَكِّدُ اعْتِزَامَهُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي مِصْرَ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يَبْدِ الْمَعْرِزُ سَعَادَتَهُ فِي بَادِي الْأَمْرِ عِنْدَمَا رَأَى الْمَبَانِي وَسُورَ الْقَاهِرَةِ الَّتِي شَهِدَهَا جَوْهَرُ الصُّقْلَى رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ قَائِدَ جِيوشِهِ وَوَزِيرَهُ وَمَدِيرَ مَمْلَكَتِهِ وَمُشِيدَ جَامِعِ الْأَزْهَرِ. وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَى عَاصِمَةِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي مِصْرَ اسْمَ «الْمَنْصُورِيَّةِ» ثُمَّ سُمِّيَتْ عَلَى اسْمِ كَوْكَبِ الْمَرِيخِ «قَاهِرَ الْفُلْكِ» أَوْ «قَاهِرَ» ثُمَّ «الْقَاهِرَةُ» وَذَلِكَ لِاهْتِمَامِ الْفَاطِمِيِّينَ بِعِلْمِ الْفَلَكِ وَقَدْ تَصَادَفَ ظُهُورُ كَوْكَبِ الْمَرِيخِ فِي وَقْتِ رُمَى أُسَاسَاتِ الْمَدِينَةِ فِي الْبَدَايَةِ.

وَفَاةُ الْمَعْرِزِ:

يُؤَكِّدُ لَنَا «ابْنُ وَصِيفِ شَاه» فِي كِتَابِهِ الرَّائِعِ الَّذِي أَرَّخَ فِيهِ لَتَارِيخِ مِصْرَ حَتَّى عَصْرِ الْمَمَالِيكِ «جَوَاهِرُ الْبُحُورِ وَوَقَائِعُ الْأُمُورِ وَعَجَائِبُ الدُّهُورِ» أَنَّ الْمَعْرِزَ تُوُفِيَ عَنْ عُمُرٍ يُنَاهِزُ سِتَّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَدُفِنَ عِنْدَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ جَدِّ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ. وَبِذَلِكَ يَكُونُ مُؤَسَّسُ الْقَاهِرَةِ وَالدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ قَدْ حَكَمَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سِنِينَ لِيَجِيءَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ «الْعَزِيزُ بِاللَّهِ» الَّذِي حَكَمَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا لِيَتَوَلَّى عَرْشَ مِصْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلِلْحَاكِمِ قِصَصٌ مَثِيرَةٌ وَمَبَانٍ بَدِيعَةٌ.

مَسْجِدُ الْحَاكِمِ:

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْخُلَ عَالَمَ شَارِعِ الْمَعْرِزِ الْمُبْهَرِّ عَنْ طَرِيقِ عُبُورِ بَوَابَةِ «بَابِ الْفَتْوحِ» الَّذِي شَيَّدَهُ الْقَائِدُ الْأَرْمَنِيُّ الْأَصْلُ «بَدْرُ الْجَمَالِي» عِنْدَمَا أَعَادَ بِنَاءَ أَجْزَاءِ



شكل (١) مئذنة مسجد الحاكم

كبيرة من سور جوهر الصقلي الأصلي. ويصل ارتفاع بُرجى البوابة إلى ٢٣ مترًا. بعد عبورها تجد على يسارك تلك المنظومة المعمارية العبقرية والتي من الممكن مشاهدة أجزاء كبيرة منها من خارج الأسوار أيضًا وهو مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي. الحاكم - حكم مصر من عام ٩٩٦ إلى عام ١٠٢١ ميلادية - تَبَّأ العرش وهو في الحادية عشرة ونصف السنة من عمره، ولكن انقلب على مُساعدِه «برجوان» وهو في عامه الخامس عشر.

كان الحاكم من الحكام الغربي الأطوار إلا أنه استكمل بناء ما بدأه والده «العزیز» لمسجد كبير منيفٍ بديعٍ يُسمَّى الآن مسجد «الحاكم».

الوصف التفصيلي للمسجد:

جامع الحاكم الآن يوجد على سطح أرضية منخفضة قليلاً عن مستوى سطح الأرض الحالي. يتميز بواجهة ذات بوابة رئيسية بارزة والتي تؤدي بالزائر إلى الرواق الشمالي الغربي الذي يحتوي على صفيْن من الدعائم وهو أقل الأروقة المسقوفة الأربع في عدد الدعائم والعقود، حيث إن إيوان القبلة يحتوي على خمسة صفوف والرواقين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي يحتويان على ثلاثة صفوف. هذه الواجهة الشمالية الغربية تحمل في نهايتها مئذنتين على

شكل بُرجَيْن يتَّخذان تَكْوِينَ مُكعَبٍ فوقَ مُكعَبٍ آخَرَ. أصلُ المِئذنتَيْنِ مِنَ العَصْرِ الفاطِمِيِّ وَتَمَّ تشييدُهُما مِنَ الحَجَرِ الجِيرِيِّ ثُمَّ جَاءَ الحَاكِمُ المَمْلُوكِي «بِيبَرَس الجاشنكير» ليرُمِّمَهُما وَيُضِيفَ مِبانِي أَخْفَتِ البِنَاءُ الفاطِمِيَّ الأَصْلِيَّ لِتَصْبِحَ ذَاتَ تَكْوِينٍ مِثْمَنٍ وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ مِنَ الطُّوبِ والجَبْسِ. وتَعْتَبَرُ المِئذنتَانِ مِنَ أَكْثَرِ المَآذِنِ تَفَرُّدًا فِي القَاهِرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِهَذَا الشَّكْلِ غَيْرِ المُعْتَادِ. والمِئذنتَانِ مَزخَرَتَانِ بِالكَتَابَاتِ الكُوفِيَّةِ.

الزيادة:



شكل (٢) واجهة جامع الحاكم ومئذنته

الزِيَادَةُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ الفَضَاءِ ذَاتِ الأَسْوَارِ تُحِيطُ بِالْجَامِعِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ جَسَدِ المَسْجِدِ وَالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ المَكُونِ مِنَ الشَّوَارِعِ وَالْمَدِينَةِ وَالْأَسْوَاقِ وَغَيْرِهَا. وَهَكَذَا يَتِمَتُّعُ المُصَلِّي بِالْهُدُوءِ وَالسَّكِينَةِ وَالْحَالَةِ الرُّوحَانِيَّةِ المَطْلُوبَةِ لِلْمُسْلِمِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي دَاخِلِ المَسْجِدِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ عِنْدَ الصَّلَاةِ، بَعِيدًا عَنْ ضَوْضَاءِ الْمَدِينَةِ. الزِيَادَةُ هُنَا الَّتِي كَانَتْ تُحِيطُ

بِمَسْجِدِ الْحَاكِمِ - قَبْلَ أَنْ تُخْتَفَى عِبْرَ الزَّمَنِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا النَّذْرُ الْيَسِيرُ - مُمَازِلَةً لِأَوَّلِ حَالَةِ «زِيَادَةٍ» فِي المِعْمَارِ الإِسْلَامِيِّ بِمِصْرَ، أَلَا وَهِيَ زِيَادَةُ مَسْجِدِ «أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ» وَهِيَ الَّتِي مَازَالَتْ بَاقِيَةً حَتَّى الْآنَ فِي أَحْسَنِ حَالَةٍ مِنَ الْحِفْظِ.

ترميم وإضافات:

اشترك عددٌ كبيرٌ من الشخصيات الشهيرة والبارزة في التاريخ الإسلامي المصري في ترميم جامع الحاكم وإضافة البنايات والوحدات الزخرفية والفنية عليه وذلك لأهميته وروعة بنائه، منهم «بدر الجمالي» أمير الجيوش الذي جعل جامع الحاكم داخل القاهرة عندما وسّعها وأعاد بناء الأسوار والبوابات. وأضاف ورّمم الأمير «ركن الدين بيبرس الجاشنكير» (حكم من ١٣٠٩ إلى ١٣١٠ ميلادية)، وهو أحد مماليك قلاوون، العديد من البنايات التي تصدّعت وأعاد بناء المهدم من جراء زلزال أصاب البلاد في عام ٧٠٢ هجرية. ويشرح «تقى الدين المقریزی» في خطبته «الزلزال الرّهب» قائلاً: «تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالها، ورجف كل ما عليها واهتزّ، وسمع للحيطان قعقة وللسّقف قرقة - قعق أي أحدث صوتاً عند التحريك أو التحرك - المعجم الوسيط- وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض فلم يقدر أحد على السكون أو الفرار، لكثرة ما سقط من الحيطان، وخرّ من السّقف والمآذن وغير ذلك من الأبنية». ثم جاء الملك «الناصر حسن بن محمد بن قلاوون» ليرممه ويزيده في خلال ولايته الثانية - حكم في ولايته الأولى من ١٣٤٧ إلى ١٣٥١ ميلادياً ثم في ولايته الثانية من عام ١٣٥٤ إلى ١٣٦١ ميلادياً وهو من أشهر المماليك البحرية أو مماليك دولة الترك كما كان يُطلق عليهم - ثم جدده نقيب الأشراف «السيد عمر مكرم» في عام ١٢٢٢ هجرية ثم ترميمه وتجديده في النصف الثاني من القرن العشرين ومرة أخرى في بدايات القرن الحادي والعشرين ليصبح تحفةً معماريةً ليس لها مثيل.

نهاية الحاكم:

كَانَ هُنَاكَ ضَرِيحٌ مُشِيدٌ خَصِيصًا لِلْحَاكِمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُدْفَنَ فِيهِ، بَلْ مَازَالَ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ عَلَى كَيْفِيَّةِ مَوْتِ الْحَاكِمِ مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِ بِنَظَرِيَّةِ اغْتِيَالِهِ أَوْ اخْتِفَائِهِ ثُمَّ تَبَجِيلِهِ عَنْ طَرِيقِ طَائِفَةِ الشَّيْعَةِ. عَلَى أَيِّ حَالٍ انْتَهَى حُكْمُ هَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ الْأَطْوَارِ الَّذِي اسْتَمَرَ لِمُدَّةِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَيَّامًا. وَلَا يُعْرَفُ لَجَسَدِ الْحَاكِمِ مَكَانٌ إِلَى الْآنَ. وَهَكَذَا انْتَهَتْ فَتْرَةٌ وَلَايَتُهُ الَّتِي قَالَ عَنْهَا «ابْنُ وَصِيفٍ شَاهٍ»: «وَأَهْلُ مَصْرَ صَابِرُونَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَوْتِهِ». وَقَالَ الْبَعْضُ الْآخَرُ: «كَانَتْ أَفْعَالُهُ لَا تُعَلَّلُ أَحْلَامُهُ وَوَسَاوُسُهُ لَا تُؤَوَّلُ».

بيت السحيمي:

يَقَعُ فِي الدَّرْبِ الْأَصْفَرِ الْمَتَفَرِّعِ مِنْ شَارِعِ الْمَعَزِّ، وَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَى عَامِ ١٧١٣ مِيلَادِي فِي زَمَنِ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ. وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ بَيْتَ السَّحِيمِيِّ يَتَكُونُ مِنْ بَيْتَيْنِ وَلَيْسَ وَاحِدًا. الْأَوَّلُ



شكل (٣) الدرب الأصفر وبه بيت السحيمي

يَرْجِعُ إِلَى عَامِ ١٦٤٨ مِيلَادِي وَالثَّانِي إِلَى ١٧٩٦ مِيلَادِي حَيْثُ كَانَ صَاحِبُهُ وَمُشِيدُهُ هُوَ «الطَّبَّلَاوِي». وَفِي بَدَايَةِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ سَكَنَهُ «مُحَمَّدُ السَّحِيمِيُّ» «شَيْخُ الرِّوَاقِ التُّرْكِيِّ بِجَامِعِ الْأَزْهَرِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَخْتِهِ. وَبَقِيَ بَيْتُ

السَّحِيمى مسكُونًا حتَّى عام ١٩٦١ ميلاديًّا ثم تمَّ ترميمُه وتجديده حديثًا ليُصبحَ من أروع أمثلة المنازل الإسلاميَّة وله شهرةٌ عالميَّة وهو من الأماكن التى يحرصُ السائحون الأجانب والمصريون على زيارتها.

وصف البيت:



شكل (٤) ساقية بيت السحيمى فى نهاية الفناء الثانى المفتوح



شكل (٥) غرفة تشرف على فناء مفتوح ببيت السحيمى

يتكوَّن البيتُ من عددٍ كبيرٍ من الغرفِ والصالوناتِ والممراتِ المؤديةِ إلى مطابخٍ وغرفِ حريمٍ ومخازنٍ وغرفٍ للمعيشةِ ودواوينٍ وحمامٍ مُقَبَّبٍ (له قُبَّةٌ). للبيتِ فناءٌ مفتوحٌ جميلٌ، وفى المبنى يوجدُ أيضًا بئرٌ مياهٍ لتزويدِ سُكَّانِ المنزلِ بالمياهِ اللازمةِ، ومطحنةٌ لعملِ الدَّقِيقِ. أهمُّ ما يُميِّزُ بيتَ السَّحِيمى من الوحداتِ الفنيةِ هى المشربياتُ التى تشرفُ على صحنِ البيتِ الدَّاخِلِى والتى ابتكرتها يدُ الفنانِ المصرى وكانت لها استخداماتٌ عمليَّةٌ مفيدةٌ.

تعريف المشربية:



شكل (٦) مشربية مظلة على الحديقة ببيت السحيمي

نوع من النوافذ المصنوعة بحرفية فائقة من قطع خشبية صغيرة ملفوفة، ومُصمَّمة بحيث يتم تعشيقها مكونة وحدة زخرفية واحدة تحتل فتحة في الحائط لتعمل كشباك له أكثر من وظيفة وفائدة.

فوائد ووظائف المشربيات:

- ١ - يستطيع الناظر من خلفها رؤية ما يدور في الفناء الأسفل أو التحقق مما يجري في الغرفة التحتيّة أو نفس الشيء مع ما يجري في الشارع أو الباحة الخارجية بدون أن تكشف حرمة منزله أو شخصية الناظر وخصوصاً النساء.
- ٢ - تخفف تلك المخروطات الخشبية البديعة من حدة وكثافة وحرارة أشعة الشمس بحيث تدخل الغرفة بالنسبة المحددة بها وخصوصاً في فصل الصيف.
- ٣ - تحديد كمية الهواء البارد في الشتاء، وفتح النوافذ التي تتخللها لتسمح بمرور التيارات الهوائية المنعشة في فصل الصيف. ولقد لاحظ المتخصصون والدارسون للمشربيات أن الفتحات تزداد اتساعاً في الأعلى وتضيق في الأسفل وهو ما يجعل دخول الهواء وخروجه يتم بطريقة علمية مما يساعد على إنعاش الغرفة بطريقة صحيّة وسليمة أيضاً، وهذه طريقة ذكيّة لتخفيض درجة حرارة الغرفة.

٤ - من الممكن تزويد المشربيات بأرففٍ لتحمل أواني فخارية تملأ بالمياه الصالحة للشرب تأتي من البئر المحفورة بالفناء الخاص بالمنزل إذ تمّ توافره أو عن طريق السقا الذي يحمل المياه على ظهره داخل قربة من الجلد ويجوب بها الشوارع والميادين لبيعها. عندما تتعرض هذه الأواني «القلل»، - جمع قلة - للتيارات الهوائية يتم تبريد المياه لتصبح المشربية أول «ثلاجة» طبيعية بدون استهلاك كهربائي.

٥ - هذه المنظومة المصنوعة من خشب الخرط الدقيق القطع والتي كانت تحمل على كوابيل خشبية مزخرفة هي الحل الأمثل لمشكلة وجود فتحة كبيرة - شباك - في الحائط تسمح بدخول الهواء والأتربة والشمس والأمطار - في حالات نادرة - بكميات لا يحتاجها المنزل.

٦ - يمكن تجديدها وإحلال القطع المتآكلة منها بسهولة ويسر وذلك لاعتماد المنظومة الفنية على تشييق الوحدات الخشبية وتشبيكها مع بعضها البعض.

لفظ «مشربية»:

أصل اللفظ هو كلمة «مشربة» التركية وهو محل الشرب والسقيا والارتواء. يعتقد بعض المتخصصين أن كلمة مشربة تعني غرفة، ولبروزها عن الحائط الحجري يطلق عليها أيضاً «مشرفية» وهي مشتقة من «شرفة» لأنها تشرف على الغرف



شكل (٧) مشربيات مظلة على الحديقة ببيت السحيمي

أو الفناء أو الميدان أو الشارع. وفي أحد جوانب الفناء يوجد الـ «تختابوش» وهو في الأصل المكان الذي كانت توضع فيه أدوات وأواني السلطان في القصر. كما يوجد في بيت السحيمي أيضاً «دورقاعة»، وهو جزء يتوسط مبنى مغطى بفتحة ضوء يطلق عليها «شخشيخة»، ولها قبة صغيرة.

مسجد الأقمر:

شيده الحاكم الفاطمي «الأمير بأحكام الله أبو علي المنصور» وهو ابن «المستعلي بالله»، وهو سابع الحكام من عائلة «بنى عبّيد الله الفاطمي» الذين يرجع أصلهم للمغرب العربي. حكم من عام ١١٠١ إلى ١١٣١م ولم يكن له ابن يخلفه على عرش مصر من بعده. وهذا المسجد البديع له واجهة يعتبرها المتخصصون في كل أنحاء العالم من أجمل الواجهات وأكثرها ثراءً في الزخارف والوحدات الفنية. يقول المؤرخ الشهير ابن إياس المصري في كتابه الرائع: «بدائع الزهور في وقائع الدهور» أنه سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ابتداءً بالأمير بأحكام الله في عمارة جامع الذي بناه عند سوق مرجوش المسمى بجامع الأقمر، وأنفق على بنائه مائتى ألف دينار، وكان له صهريج يملأ من قنوات «الخليج الحاكمي» ويعتقد البعض أن لقب «الأقمر» جاء من لون الأحجار الرمادية الفاتحة التي بُنى بها المسجد والتي تشبه ضوء القمر.

وصف الجامع الأقمر:

يُهبط زائر الجامع درجاً بسيطاً ليدخل عبر المدخل الرئيسي الذي يتوسط الواجهة المتفرّدة. على يسار الداخل بعد الدخول مباشرة من الباب الرئيسي وقبل الوصول إلى الرواق المقابل لرواق القبلة، يوجد باب يؤدي إلى سلم

يصعدُ بالزائر إلى أعلى المسجد حيثُ تقفُ المئذنة المرمّمة والمُعاد تشييدها فقد كان بها ميلٌ خشبيٌ قد يكون سببَ تحطّمها. وقد خضع الجامعُ لعددٍ من عمليات الترميم والإضاءة في زمن السلطان «برقوق المملوكي» أول المماليك البرجية - أطلق عليهم البرجية لأنهم قطنوا الأبراج في القلعة - ومؤسس دولة الجراكسة التي حكمت مصر من عام ١٣٨٢ إلى عام ١٥١٧م، وقد أوكل «الأمير يلغا» في إعادة إعمار هذا الجامع البديع. وثق «يلغا» الأعمال الفنية والمعمارية في لوحة رخامية وضعها فوق محراب رواق القبلة مثل عمل المنبر والمئذنة (المئذنة). ولكن منبر «يلغا» غير موجود الآن. وتؤكد لنا «الدكتورة/ سعاد ماهر محمد» وهي من عباقرة المتخصصين في الفن والعمارة والتاريخ الإسلامي أن المنبر الموجود حالياً بالمسجد هو بقايا المنبر الفاطمي. وقد جدد الجامع في عصر «سليمان أغا السلحدار» العثماني في ١٧٢١م الصحن المكشوف (مساحته ٩,٧ متر في ١٠,٢ متر) وهو محاط من جهاته الأربع بعقود - تكوّن مع أسقف مغطاة بقباب في أجزاء وبخشب في جزء آخر - أعمق رواق هو رواق القبلة والرواق هو الجزء المشيد بأعمدة تحمل عقوداً وقباباً وسقفًا يجلس فيه المصلون خلال الخطبة أو الدرس ويصلي فيه المسلمون وهم محميون من أشعة الشمس أو الأمطار.

الواجهة المتفردة:

يوجد أكثر من سبب يجعل واجهة جامع الأقمر ذات سمات وخصائص متفرّدة ومنها:

١ - هي أكثر الواجهات في المساجد ثراء وغناء في الوحدات الفنية والزخارف المعمارية منها شرائط من الكتابات التي تحتوى على البسملة واسم وألقاب



شكل (٨ أ) واجهة مسجد الأقمر المتفردة



شكل (٨ ب) مئذنة الأقمر تعتلى المسجد

صاحب الجامع والأدعية له
بالنصر وطول البقاء، وحدات
فنية على شكل مروحة،
ودائرة منحوت بداخلها اسم
«محمد» (رسول الله صلى الله
عليه وسلم) أكثر من مرة
واسم «علي» (كرم الله وجهه)
بالخط الكوفي. يوجد أيضا
زخارف وردية ذات خمسة
عشر بتلة- البتلة هي ورقة الورد-
يوجد تقليد زخرفي لنافتين بهما
تشكيلات فنية هندسية ونباتية.

٢ - هي أول وأقدم واجهة جامع
في القاهرة الإسلامية صُممت على
حسب اتجاه وزاوية وتخطيط الشارع
الذي تُشرف عليه، ولهذا السبب
اتخذت الواجهة- وهي في الاتجاه
الشمالي الغربي- خطاً منحرفاً قليلاً
عن حائط القبلة وبالتالي فهما ليسا
متوازيين ولكنها متوازية تماماً
ومتماشية بالضبط مع الشارع.



شكل (٨ ج) الجزء العلوى من مئذنة الأقمر



شكل (٨ د) جزء من واجهة الأقمر به زخرفة مستديرة يظهر فيها اسم محمد-صلى الله عليه وسلم - مكررا على شكل دائرة تحيط باسم على- كرم الله وجهه

٣ - هى الواجهة التى انبهر بها «سميكة باشا» مؤسس المتحف القبطى، فاستنسخ منها نسخة لتكون واجهة المتحف إلى الآن مع إضافة الرموز المسيحية بدلا من الأسماء الإسلامية.

٤ - بها زخارف أرابيسك- وهى تصميمات نباتية وحلزونية وورديّة وورقية- تتبع بعضها البعض، أصلها نباتى فنى أى هو خليط بين الفن الصحيح المغلف بالطبيعة النباتية والزراعية المبهجة للناظر والمريحة للأعين والمُبهرة للدارس. يعجبني وصف الدكتور «خالد عزب» فى موسوعة الحضارة الإسلامية التى تعتبر من روائع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف الذى يقول فيه عن الأرابيسك: «توحى دائما بفكرة النمو المستمر، تلتف حول نفسها بموجات متتالية منتظمة فى شكل حلزوني، وهى

تَنُمُو مِنْ وَرَقَةٍ أَوْ تَجَدُّدُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا ، وبالتالي كانت تتصف دائماً بالنظام والحيوية...».

قصر بشتاك:



شكل (٩) الحائط الخارجى لقصر الأمير بشتاك
المطل على شارع المعز الآن

شَيِّدَ هَذَا الْقَصْرَ ذَا الْخَمْسَةِ
طَوَابِقَ «الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ
بِشْتَاكِ النَّاصِرِ» الَّذِي كَانَ
مَتَبَوِّءًا لَوْظِيْفَةِ وَزِيرِ هَامٍّ فِي
زَمَنِ حُكْمِ السُّلْطَانِ الْمَمْلُوكِيِّ
الْبَحْرِيِّ - أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْمَمَالِيكُ
الْبَحْرِيَّةَ لِأَنَّهُمْ قَطَنُوا جَزِيرَةَ
الرَّوَضَةِ فِي وَسْطِ نَهْرِ النَّيْلِ
«بَحْرِ النَّيْلِ» الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَصْرُنَا الْعَزِيزَةِ - النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونٍ وَهُوَ تَاسِعُ
مُلُوكِ التُّرْكِ الْمَمَالِيكِ.

أَمَّا عَنِ الْأَمِيرِ «بِشْتَاكِ» فَقَدْ تَزَوَّجَ مِنْ ابْنَةِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ ذَا ثَرَوَةٍ
كَبِيرَةٍ وَهَيْمَنَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَلَكِنْ نَهَائَتُهُ كَانَتْ مَأْسَاوِيَّةً. شُيِّدَ هَذَا الْقَصْرُ فِي مَوْقِعٍ كَانَ
مُشْغُولًا فِي عَامِ ١٣٣٥ م بِأَطْلَالِ الْقَصْرِ الشَّرْقِيِّ الْفَاطِمِيِّ وَحَوَانِيَتٍ وَمَبَانٍ أُخْرَى.
مَدْخُلُ الْقَصْرِ الْآنَ لَا يَطْلُ عَلَى شَارِعِ الْمُعْزِ - فَقَطِ الْجِدَارُ الْغَرْبِيُّ هُوَ الَّذِي يَطْلُ
عَلَى شَارِعِ الْمُعْزِ وَمِنْ الْمُمْكِنِ رُؤْيَتُهُ بِسَهُولَةٍ مِنَ الشَّارِعِ - وَيَتَمَيَّزُ بِوُجُودِ بَوَابَةٍ
تَسْبِقُهَا مَصْطَبَتَانِ عَلَى جَانِبِي الْمَدْخَلِ - الْمَصْطَبَةُ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ مَقْعَدٍ يَرْتَفِعُ عَنِ
الْأَرْضِ عَلَى شَكْلِ أُرِيكَةٍ حَجْرِيَّةٍ تُسْتَخْدَمُ عَادَةً فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا - الْبَابُ يَعْلُوهُ

ثلاثة عقود متوالية متوازية - العقد هو وحدة معمارية فنية تتخذ شكل قوس - هذا الباب يؤدي إلى فناء صغير الذي يعمل كحلقة اتصال بين الباب الرئيسى وبقية مباني البيت أو القصر في حالة قصر بشتاك ويطلق على هذا العنصر لفظ: «دركاه». وبالقصر غرف وإيوانات - الإيوان هو غرفة معمارية لها ثلاثة جدران -، أما الجهة الرابعة فهي مفتوحة وليس لها جدار لتجعل الإيوان مفتوحاً وليس مسدوداً تماماً، يعلوه عقد وهو مرتفع قليلاً عن سطح الأرض في المبنى، ومن أعظم الإيوانات في مصر الإسلامية إيوان القبلة في مسجد السلطان حسن المملوكي وقد اعتبره المؤرخون أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع.

وفي القصر مجموعة بديعة من المقرنصات الخشبية (المقرنص هو خلية أو وحدة معمارية فنية تنحّ من الحجر أو الخشب على شكل عقود بارزة تحاكي التشكيلات الطبيعية التي تتدلى من سقف الكهف الحجري على شكل مدبب موصّبة إلى أسفل أرضية الكهف).

وفي وسط المبنى يوجد نافورة من الرخام الملون لإضافة جو من البهجة والسرور والراحة للجالسين بجانبها وهي أيضاً لترطيب الجو في أيام الصيف الحار. وفي القصر مشربيات خشبية بديعة والتي نجح الفنان المسلم في أن يجعلها وحدة فنية تجمّل القصر وتضيف عليه جمالاً ورونقاً فنياً بديعاً ودقيقاً استطاع أن يطوعها لصالح ساكني القصر فتكسر حدة ضوء الشمس وحرارتها في الصباح وتتحكم في مسارات وكميات التيارات الهوائية الداخلة والخارجة إلى ومن الغرفة أو القاعة التي توجد فيه المشربية.

عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، لا تتركوا القصر قبل أن تلقوا نظرة فاحصة متأنية على سقف المبنى الذي يتميز بجمال وحداته المزخرفة بأشكال هندسية ثمانية الأضلاع ممتزجة مع ورق نباتي ووردي بديع.

خانقاه ومدرسة وضريح السلطان برقوق:

تقع الخانقاه الظاهريّة - مع اسم الظاهر برقوق - بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية والخانقاه مكانٌ يعتكف به المتصوّفة شُيِّدَتْ عام ١٣٨٤م، وكان يتمُّ في الخانقاة تدريس العلوم الدينيّة مثل الشريعة والفقه والحديث والتفسير والعلوم الحيّاتية أيضًا مثل المواد العلميّة، فأصبحت من أهم المؤسسات التي تفعل دور الثقافة في المجتمع آنذاك. وقد أشرف على تشييد خانقاه برقوق الأمير «جركس الخليلي» صاحب فكرة إعمار «خان الخليلي» وهي مُحلاة بعتب من الرُخام المُعشّق الذي يمثّل أسلوبًا فنيًا يُطلق عليه «الأبلق» - بناء بلونين مختلفين مخططين بتوازٍ وتناغم فنيّ بديع، في حالة الخانقاه هنا كان اللونان هما الأبيض والأسود.

ويوجد أيضًا ضريح دفن به برقوق وأسرته ومدرسة تتميز ببعض الكتابات المنحوتة ذات المستوى الراقى.

وللمبنى مئذنة ضخمة كُسيَتْ في بعض أجزائها بقطع رخامية. يوجد أيضًا باب رئيسي من الخشب المكسو بالنحاس المحلي بعناصر فضية بديعة، يتميز الباب بعناصر نباتية وأشكال هندسية ونجمية (على شكل نجمة). ومن ضمن المباني في هذا الصرح الشاهق المتفرد يوجد قبة مئمنة الأضلاع وصحن مفتوح للسماء وإيوانات ذات سقوف مزخرفة ومحراب يجاوره منبر خشبي أضافه «السلطان جقمق» (حكم من عام ١٤٣٨ حتى ١٤٥٣م). نلاحظ أيضًا وجود دكة المُبلِّغ المصنوعة من الرُخام محمولة على ثمانية أعمدة رخامية وكان يعتليها المُبلِّغ الذي يُكرّر ما يقوله الإمام في الصلاة لكي يسمعها المصلون الكائنون

خلفه لتأكيد وصول الكلمات إلى آخر مصلٍّ في المسجد وكان هذا قبل ابتكار الكهرباء ومكبر الصوت.

يُوجد أيضاً كرسي مصحف من الخشب والعاج. أما عن سقف إيوان القبلة فهو تحفة فنية فريدة ليس لها مثيل ملونة بالأزرق والأصفر على شكل وردٍ وحلزونيّات نباتية وأشكال طبقية (على هيئة طبق) وكانت المجموعة المعمارية تحتوى على عددٍ من الغرف التي كان يقيم فيها الملك برقوق وأسرته خلال الأعياد الدينية.

تمّ تعليم متلقى الدروس في خانقاه ومدرسة السلطان برقوق في أربع مدارس هي المدرسة الحنفيّة والشافعية والمالكية والحنبلية.

مجموعة السلطان قلاوون المعمارية:

بعد زيارة مدرسة السلطان برقوق وعلى نفس الجانب نجد مدرسة السلطان الناصر محمد المملوكي وضريحه وجامعه ثم نجد مبنى مكوناً من مجموعة معمارية مبهرة مُلتصقة بمدرسة الناصر محمد وهي مجموعة السلطان قلاوون المكونة من مسجدٍ وضريحٍ ومدرسةٍ وبیمارستان. وتقع تلك المجموعة ذات الطابع الفنّي والهندسة المعمارية الراقية والتي تسمو بالمباني الإسلامية في



شكل (١٠) واجهة قلاوون التي تحمل في نهايتها المئذنة

شارع المُعْزِ إِلَى أَعْلَى المَرَاتِبِ، أَمَامَ سَبِيلِ مُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا وَشَارِعِ بَيْتِ الْقَاضِي
وَسَبِيلِ خَسْرُو بَاشَا وَجُزْءٌ مِنْهَا مُلتَصِقٌ بِسَبِيلِ أَمِيرِ أَرْغُونِ.

مَنْ هُوَ قَلَاوُونُ؟!

وقلاوون هُوَ المَلِكُ المَنْصُورُ سَيِّفُ الدِّينِ قَلَاوُونُ، أَبُو المَعَالِي الأَلْفِي،
الصَّالِحِي النِّجْمِي، سَابِعُ مُلُوكِ التُّرْكِ، وَهُوَ مِنَ المَمَالِيكِ البَحْرِيَّةِ. حَكَمَ مِصْرَ
مِنْ عَامِ ١٢٨٠ إِلَى ١٢٩٠م، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ هُمْ الأَشْرَفُ خَلِيلُ (الَّذِي خَلَفَهُ
فِي حُكْمِ البَلَادِ) وَالنَّاصِرُ مُحَمَّدُ (خَلَفَ أَخَاهُ) وَالأَمِيرُ أَحْمَدُ، أَصْغَرُهُمْ.

وصف تفصيلي:

مدخل المجموعة يقع في الجَانِبِ الجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ وَلَهُ عَقُودٌ مَدْبِبةٌ مُتَعاقِبَةٌ
يَعْلُوهَا نَصٌّ يَذْكُرُ مَحْتَوِيَّاتِ المَجْمَعِ وَهُوَ مَدْخَلٌ مُتَفَرِّدٌ وَالأَوَّلُ مِنْ طِرَازِهِ فِي



شكل (١١ ب) المدخل الرئيسي للمسجد
الذي شيده قلاوون



شكل (١١ أ) نوافذ وعقود وفن الأبلق وشريط
منحوت باسم قلاوون

تاريخ المعمار المملوكى بالقاهرة. المئذنة المبهرة تَعْتَلِي حَيْزَ الْوَاجِهَةِ مِنَ
النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَةِ.

المِئذَنَةُ وَالزَّلْزَالُ:



شكل (١٢) مئذنة قلاوون

عانت هذه المِئذَنَةُ العَالِيَةُ مِنْ
بعض التَّدَاعِيَّاتِ مِنْ جَرَاءِ هَزَّةٍ أَرْضِيَّةٍ
وَقَعَتْ فِي عام ١٣٠٢م، وَحَدَثَ أَنْ
سَقَطَ الْجُزْءُ الْعُلْوَى مِنْهَا مِنْ شِدَّةِ
زَلْزَلَةِ الْمَبْنَى. جَاءَ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدٌ
فِي عام ١٣٠٣م فَأَضَافَ الْجُزْءَ الَّذِي
كَانَ مَفْقُوداً بِنَاءٍ قَمَةٍ لِلْمِئذَنَةِ.

شَرْحُ تَفْصِيْلِيٍّ لِلْمَبْنَى مِنَ الدَّخْلِ:

بَعْدَ الدَّخْلِ يَجْدُ الزَّائِرُ نَفْسَهُ
فِي مَمَرٍّ لَهُ سَقْفٌ، يَوْجَدُ عَنْ يَمِينِهِ
الْمَدْفَنُ - ضَرْيُحُ قَلَاوُون - وَعَنْ يَسَارِهِ
تَوْجَدُ الْمَدْرَسَةُ وَيَقَعُ الْبِيْمَارِسْتَانُ
فِي نَهَايَةِ الْمَمَرِّ بَقَايَا الْبِيْمَارِسْتَانِ
الْقَدِيمَةِ الْآنَ.

مَا هُوَ الْبِيْمَارِسْتَانُ؟!

بِيْمَارِسْتَانٌ هِيَ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ
مَكُونَةٌ مِنْ مَقْطَعَيْنِ: «بِيْمَار» أَيْ



شكل (١٣) تفاصيل بوابة مسجد قلاوون

مريض و«ستان» أى مكان. ومعناهما «مكان المريض» أى المستشفى بلغتنا الحالية. أول مستشفى ثابت فى الإسلام كان الذى شيده «الوليد بن عبد الملك» سنة ٧٠٦م. وأول البيمارستانات فى مصر الذى بناه أحمد بن طولون - حكم مصر من ٨٦٨ إلى ٨٨٤م - فى عاصمته «القطائع» وقد كلفه ٦٠ ألفاً من الدينار ولكن للأسف هُدم. وقد أطلق على هذا النوع من المستشفيات أيضاً لفظ «ماريستان»، وقد كان يُعالج فيه المرضى من أمراضهم العضوية والنفسية، ومن هنا أتت الكلمة الدارجة «موريستان» لتعنى مستشفى الأمراض العقلية. بيمارستان قلاوون هدم للأسف وتم ترميمه فى عهد عبد الرحمن كتحدا فى عام ١٧٧٦م ويبقى هذا المبنى علامة على تطوّر وازدهار علوم الطب فى العصور الإسلامية المتعاقبة.

كان بالبيمارستان مائة سرير وعيادات خارجية وكان به مدرسة للطب وصيدلية ومكتبة بها قراطيس علوم الطب والاستشفاء.

المدرسة القلاوونية:

تحتوى على إيوانين وعلى الجانب الشمالى الشرقى يوجد غرف الطلبة والتلاميذ على ارتفاع ثلاثة طوابق ذات درج داخلى يؤدى بالزائر إلى الدور العلوى والذى يضاء عن طريق عدد من النوافذ المستطيلة الصغيرة. إيوان القبلة به عقود محمولة على أعمدة جرانيتية بتيجان مزخرفة. المحراب مزين بالرخام والفسيفساء المذهبة والصدف.

المنبر مصنوع من الخشب وقد أضافه فى عام ١٤٩٤م الأمير «أزبك بن ططخ» وهو من أتاك السُلطان قايتباى وهو أيضاً الذى سُميت حدائق الأزبكية باسمه.

الضريح:

مُزَيْن بالعديد من المَشْرَبِيَّات الخَشَبِيَّة البَدِيعَة وَمِنْهَا مَا يُحِيط بِالتَّابُوتِ،
وَرَغِمَ أَنَّ ابْنَهُ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ كَانَ لَهُ مَجْمُوعَةٌ مُتَفَرِّدَةٌ بِهَا ضَرِيحٌ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ طَلَّبَ
أَنْ يُدْفَنَ بِجَانِبِ أَبِيهِ. لِلضَّرِيحِ مِحْرَابٌ يَصِلُ ارْتِفَاعُهُ إِلَى ٧ أمتار.
السَّقْفُ تَمَّ تَرْمِيمُهُ وَيَصِلُ ارْتِفَاعُهُ إِلَى ١٥ مترا والقبة يصلُ ارْتِفَاعُهَا وَحْدَهَا
إِلَى ٣٠ مترا ولكنها ليست الأصلية، فالموجودة الآن ترجعُ إلى ١٩٠٣ م. يوجدُ
أيضًا نوافذُ مصنوعة من البرونز وعلى شكل شبكاتٍ من الجصِّ المملوءة بالزجاج
المُلَوَّن. أما عن التجويف الشمالي الشرقي فهو عبارة عن دواليب صنعتُ خَصِيصًا
لوضع ملابسٍ قلاوون بها.

بشارع المعزِّ الكثير من الأمثلة الهندسيَّة والمعماريَّة والفنيَّة الإسلاميَّة
البديعة، ولكننا في هذا الكتاب المبسط أردنا جذبَ الأنظار وفتح شهية القارئ
لهذا الشارع الذي بهرَّ العالمَ فنهنيئًا لمُحِبِّي التاريخ والآثار الإسلاميَّة بهذا
الشارع الذي يُضِيءُ دربًا من دروبِ الحضارة الإسلاميَّة في القاهرة.

المراجع

- ١ - الفن المملوكى عظمة وسحر السلاطين، الدار المصرية اللبنانية. الطبعة العربية، ٢٠٠٧.
- ٢ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الأول، الدكتورة/ سعاد ماهر محمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٣ - معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، د. زين العابدين شمس الدين نجم، ٢٠٠٦.
- ٤ - المرشد الأزرق مصر.
Blue Guide Egypt. AFC Black/ London, WW Norton/ New York. 1988.
- ٥ - موسوعة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٥.
- ٦ - الخطط المقرية، تأليف تقى الدين المقريزى، تحقيق د. محمد زينهم- مديحة الشرقاوى، مكتبة مدبولى، ١٩٩٨.
- ٧ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تأليف: ابن إياس المصرى، مكتبة مدبولى، الجزء الأول، ٢٠٠٥.



شواهد و آثار .. لا تزال حاضرة، تلفت الأنظار
وتخلب الأبواب .. لم ير العالم محاكياً أو منافساً لها.
بهرت العالم شرقه وغربه لتبقى زخارفها صورة حية
وخير سفير، إنها روائع المعمار الإسلامي من أبنية
ومساجد وصحون وقباب وخانات ومدارس ومآذن
وأسبلة.. تراث يجدر بنا إعادة اكتشاف أسرارهِ
مرات ومرات لنقدر أنفسنا كما ينبغي أن يكون.

صدر منها:

- ١ - روائع شارع المعز.
- ٢ - قلعة صلاح الدين الأيوبي.
- ٣ - مسجد السلطان حسن.
- ٤ - مسجد أحمد بن طولون.
- ٥ - مقياس النيل بالروضة.
- ٦ - مسجد السلطان أحمد بتركيا.



٢٥٨٠٠٧/٠١

